فلسفة التاريخ عند ابن خلدون

(ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦ م)

الدكتور

سالم جاسر النصافي

مقدمة

حظي ابن خلدون بعناية كبيرة في العصر الحديث واهتمام واسع في الشرق والغرب ونال من الاهتمام من قبل المدارس العلمية في العلوم الإنسانية بصفة عامة والعلوم الاجتماعية والفكرية وفي مجال التاريخ بصورة أخص من أي مؤرخ مسلم غيره، وقد شكل ما كُتب عن إنتاجه المعرفي الزاخر والتنوع ما يشكل مكتبة علمية عظيمة تليق بمفكر مسلم ينتمي إلى حضارة عظيمة كان لها الفضل في الحفاظ على تراث الحضارات السابقة مع ما أضافته لها من العلوم والمعارف التي أبدعها علماؤها ومفكروها، ما جعلها

ولقد رفع الدارسون –ابن خلدون– عربا ومستشرقين إلي مصاف الفلاسفة الكبار وكبار المفكرين، وذكر البعض أنه "صاحب نظريات سياسية . . .ونظريات اجتماعية من أهم نظرية التطور التاريخي ."وذهب آخر إلى أنه"لم يقدر لأحد قبله سواء من علماء المسلمين أو غير المسلمين أن يعرض لد ارسة الظواهر الاجتماعية د ارسة تحليلية أدت إلي نتائج ومقررات مثل تلك التي أدت إليها مقدمة ابن خلدون"، وأن "نظرياته في العمران نظرية إسلامية الأسس والتكوين[١] .بل يذهب البعض فيقول: اسم ابن خلدون اسم جامع تختفي تحته شخصيات عدة؛ فهو يمثل رواية مثل غيره من الرواة. . . . مشاهدا بل صحفيا عندما يتكلم عن نفسه. . . مؤرخا يزاحم الإتقان والنباهة. . . فهو يوضع في سياق خاص بجانب المسعودي وفولتير.[٢] ويقول آخر"بأنه أبدع نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي وهو فضلا عن ذلك كان مفلسفا للتاريخ.[٣]

ولأول مرة يجمع مؤرخو ومفكرو الغرب علي تمجيد أحد أعلام التراث الإسلامي، ويكفي شهادة فليسوف التاريخ المعاصر" أرنولد توينبي" حيث يقول:" إن المجال الذي اختاره ابن خلدون بجهوده العقلية يبدو أنه كان سابقا فيه، فلم يطرقه أحد من أسلافه . ولم يكن له منافسون من معاصريه. وتعد مقدمته في فلسفة التاريخ بلا

[١] مصطفى الشكعة :معام الحضارة الأسلامية ن دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٨٨ ، ص١٦٣

[٢] عبدالله العروي : العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي ، ط٥ ، ٢٠٠٥ ، ص١١٩ .

[٣] محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ،١٩٨٦ ، ص٩١٣.

ريب أروع إنجاز من نوعه أبدعه عقل في أي زمان أو أي مكان[١]

سنحاول في هذه الدراسة رصد جملة موضوعات واسعة ومتشعبة تناولها ابن خلدون حول فلسفة التاريخ .كما أننالا نطمح في هذه العجالة أن نفيها حقها، وانما سنكتفي برسم تصور أولي قد يصلح أن يكون منطلقاً لأبحاث أدق وأعمق.

تهتم هذه الدراسة بمنهجية ابن خلدون وإسهاماته في الفكر الإنساني من خلال مؤلفاته , وتؤكد الدراسة على عالمية آراء ابن خلدون وذيوعها إذ مازالت محل عناية الباحثين الغربيين والعرب على اختلاف تخصصاتهم , وتحاول الدراسة إبراز دقة منهجية ابن خلدون التاريخية من خلال مؤلفه التاريخي "العبر " بمقدمته الشهيرة , وأصالة بحوثه التاريخية , وكيف أن الأخيرة أي المقدمة قد احتوت على مبادئ الكثير من العلوم كعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ , والتربية , والاقتصاد , وغير ذلك من العلوم

إشكالية البحث:.

تتمثل إشكالية البحث فى أن ابن خلدون يفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الدقة في استخدام الألفاظ والمصطلحات التاريخية

ونحاول في هذا البحث الإجابة بعض التساؤلات لعل من أهمها:

هل ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ فعلا؟ إذا كان الأمر كذلك فما صلة أفكار ابن خلدون بمقولات فلسفة التاريخ؟

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

١- يعتبر ابن خلدون مفخرة النتاج الفكري الإنساني ومعلم من معالم حضارة الإسلام تمثلت في فكره الرائد والسابق في مجموعة من العلوم والمعارف التاريخية والاجتماعية والحضارية والفلسفية الذي تمثل في تلك الدراسات التي قام بها العديد من العلماء والباحثين العرب والعجم.

[١] ارنولد توينبي : مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد شبل ، ج٣ ، ص٦٣.

٢- ما زال تراث ابن خلدون يحتاج إلى البحث والدراسة وإعادة التحليل والنظر ووضع إنتاجه العلمي والفكري تحت مجهر البحث والتقصي والتحليل؛ فهو تراث علمي عالمي يقدم الجديد ليس في منهاج البحث التاريخي فقط بل في كافة العلوم الإنسانية ويتوافق مع الطرق العلمية المعاصرة في مناهج البحث العلمي.

٣- ارتبط ابن خلدون بواقعه الحضاري الإسلامي مما جعله يعتمد فلسفة خاصة مرتبطة بمنهجيته في دراسة التاريخ التي تعتمد على التقصي والتدقيق في قبول الأخبار. ثم تفسيرها تفسيرًا حضاريًا وفق مرتكزاته الأساسية النابعة من فلسفته في تحليل الأخبار التي تعتمد على النقد للحدث.

منهج البحث:

إن المنهج المحدد لهذه الدراسة هو المنهج التاريخى التحليلى ، وذلك من خلال وصف وتحليل واستنباط النتائج والدقة فى استخلاصها من النصوص الأولية التى تتمثل فى كتاب "ابن خلدون" (المقدمة) .

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مكوّنًا من هذه المقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع . على النحو التالي:

التمهيد: ويشتمل على تعريف موجز لعنوان البحث: المدينة الفاضلة ، الفارابي.

المبحث الأول : ابن خلدون : الرجل حياته وأعماله.

المبحث الثاني : بين التاريخ وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون .

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع .

وأخيرًا فإني أشكر الله عز وجل وأحمده أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على نعمة وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، والذي أعانني على إكمال هذا البحث وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد . صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

ابن خلدون : الرجل حياته وأعماله

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، كنى بأبى زيد ولقب بولى الدين إثر توليه القضاء، واشتهر بابن خلدون [1] .

يرجع نسبه إلى عرب اليمن من حضر موت ، وبالتحديد إلى وائل بن حجر[2] (وهو يذكر هذا النسب بتوسع وتفصيل ويعتز به، ويحاول أن يذكر الأدلة التي ترفع من شأنه، ومن ذلك ذكره لوفادة جده وائل بن حجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: (اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة[3]) .

ولد ابن خلدون في القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ الموافق ١٣٣٢/٥/٢٧م لأسرة من أشبيلية ذات ماض عريق في المشاركة في الحياة العامة و التأثير فيها ، ويقسم الباحثون حياة ابن خلدون إلى أربع مراحل رئيسية هى :

أولاً/ مرحلة النشأة والتلمذة ٧٣٢ هـ – ٧٥٣ هـ .

ثانياً/ مرحلة المشاركة في الحياة السياسية بالجزائر والمغرب والأندلس وهى من ٧٥٤ هـ – ٧٧٦ هـ .

ثالثاً/ مرحلة العزلة والتأليف في قلعة ابن سلامة بالجزائر، وهي من ٧٧٦ هـ – ٧٨٠ هـ .

---

[1] فؤاد عبد المنعم : **ابن خلدون ورسالته للقضاة** ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١،١٤١٧ هـ ،ص ٣٣.

[2] ابن خلدون: **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٩.

[3] البخارى : **التاريخ الكبير**، الباب ٨، ج٨، ص ٦٧، حديث رقم (٢٦٠٧).

رابعاً/ مرحلة التدريس والقضاء واستكمال التأليف وهي في الفترة من ٧٨٠ هـ – ٨٠٨ هـ .

يذكر ابن خلدون في سيرته الذاتية أنه عاش في كنف والديه وحفظ القرآن الكريم برواياته السبع، ودرس على الكثير من العلماء العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ودرس إلى جانب ذلك علوم المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية [1].

وكانت وفاة ابن خلدون رحمه الله بعد رحلة طويلة فى السادس والعشرين من رمضان سنة(٨٠٨هـ) عن ستة وسبعون عاماً ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر فى اتجاه الريدانية (العباسية الآن)[٢].

مؤلفاته:

يذكر ابن الخطيب فى ترجمته لابن خلدون (الإحاطة فى أخبار غرناطة) أن أول مؤلف له هو شرحه لقصيدة البردة، وأكد على أنه كان شرحاً بديعاً وظف فيه ابن خلدون فنون إدراكه وغزارة حفظه[٣].

ويذكر ابن الخطيب ان ابن خلون لخص محصل الإمام فخر الدين بن الخطيب الرازى، وألف كتاباً فى الحساب، وشرح الرجز الصادر عن ابن الخطيب نفسه فى أصول الفقه ، بشئ لا غاية وراءه فى الكمال[٤].

وأما نثره وسلطانياته، مرسله ومسجعها، فخلج بلاغة، ورياض فنون، ومعادن إبداع، يفرغ عنها براعة الجرئ، شبيهة البداءات بالخواتم فى نداوة الحروف، وقرب

---

[1] ابن خلدون: **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، مرجع سابق، ص١٧.

[٢] زينب الخضيرى: **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون** ، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٣.

[٣] لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة فى أخبار غرناطة**، تحقيق بوزيانى الدراجى، دار الأمل للدراسات والنشر، الجزائر،ط١، ٢٠٠٩ ، ج٤، ص٥٣٩.

[٤] حسن عبد الله بانبيله: **ابن خلدون وتراثه التربوى**، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص١٤٦.

العهد بجرية المداد، ونفوذ أمر القريحة، واسترسال الطبع، وأما نظمه، فنهض لهذا العهد قدماً فى ميدان الشعر، وأغرى نقده باعتبار أساليبه، فانثال عليه جوه، وهان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبة[١].

والغريب أن هذه المؤلفات التى لم يصل إلينا منها شئ يذكر، لم يتعرض إلى ذكرها ابن خلدون فى ترجمته لحياته، والغالب على الظن أنها كراسات أعدت لتدريس الطلبة، لم يعتبرها ابن خلدون مؤلفات تستحق الذكر[٢].

وأما الكتاب الوحيد الذى تركه لنا ابن خلدون فهو (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر).

وقد اعتبره ابن خلدون ثلاثة أجزاء فحسب، وهى:

الكتاب الأول : بدأه بمقدمة فى فضل علم التاريخ بقوله: (فى طبيعة العمران فى الخليقة وما يتعرض فيها البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما ذلك من العلل والأسباب). وهو الكتاب الذى نسميه (المقدمة)[٣].

-الفصل الأول منها: فى قسط العمران من الأرض، وما فيها من الأقاليم، وتأثير الهواء فى ألوان البشر وأخلاقهم....

-الفصل الثانى: فى العمران البدوى، والأمم والقبائل، وما يعرض فى ذلك من الأبحاث فى طبيعة البداوة والحضارة، والفرق بينهما من حيث الأنساب والعصبية، والرياسة والحسب، والملك والسيادة...

-الفصل الثالث: فى الدول العامة، والملك والخلافة، والمراتب السلطانية، وعلل فيه أسباب السيادة، وتشييد الدول، ومراتب السلطان، ودواوين الدولة وجندها، وأسباب ثبوت الدولة وسقوطها....

---

[١] لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة فى أخبار غرناطة**، مرجع سابق، ص٥٤٠.

[٢] ساطع الحصرى :دراسات فى مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص٩٦.

[٣] على عبد الواحد وافى: ابن خلدون حياته وأثاره ومظاهره وعبقريته، ص١٣٦.

–الفصل الرابع: غى البلدان والأمصار وسائر العمران، فى المدن والهياكل ونسبتها إلى الدول، وما تجب مراعاته فى وضعها من حيث البر والبحر، وفى بناء المساجد والبيوت....

–الفصل الخامس: فى المعاش ووجوه الكسب والصنائع، وفيه مسائل فى الرزق والكسب، وفى المعاش وأصنافه ومذاهبه، ونسبة ذلك إلى طبيعة العمران، وفيه أبحاث واسعة فى أبواب الرزق: من التجارة والصناعة.....

–الفصل السادس: فى العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه، وسائر وجوهه، والكلام فى كل علم على حدة، وتاريخه وشروطه من علوم القرآن والحديث والفقه، فالعلوم اللسانية والطبيعية والطبية، والآداب والشعر والتاريخ. وفى الإلهيات وعلومها، وهو من قبيل تاريخ آداب اللغة العربية [1].

وعلى هذا فالمقدمة خزانة علوم، اجتماعية وسياسية، واقتصادية وأدبية، فضلاً عن أسلوبها اللغوى المتميز، وعباراتها المتناسقة المترابطة مما منحها تلك الأهمية الجليلة.

أما الكتاب الثانى: فهو يشتمل على المجلد الثانى والثالث والرابع والخامس، ويتضمن تاريخ العرب والإسلام .

وأما الكتاب الثالث: فهو يشتمل على المجلد السادس والسابع، فيتضمن أخبار البربر وتاريخ المغرب بالإضافة إلى ترجمة لحياته ألحقها بأخر الجزء السابع، وذيل تاريخه بها، وهى فصل طويل عنوانه (التعريف بابن خلدون)، عنى فيه ببعض الاختصار وينتهى سنة (٧٩٧هـ) من ترجمة حاله .

وقد عد هذا الكتاب من أهم المؤلفات فى التاريخ فقد قدم له المؤلف المقدمة التى جعلته من أشهر ما ألف فى ميدان علم الاجتماع، بل وفى صدارتها، وقد نهج

[1] على عبد الواحد وافى: **ابن خلدون حياته وأثاره ومظاهره وعبقريته**، ص١٣٩.

فى الكتاب منهجاً اختلف فى تصنيفه عن أى نهج لمن كتب فى التاريخ من قبل.

كما أن كتاب التعريف الذى سمى (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) يعد نوعاً آخر من الدراسة التاريخية تتمثل فى ترجمة المؤلف لنفسه.

ويعده الدكتور "على عبد الواحد وافى" مجدداً فى هذا الفن من التاريخ وهو فن الأتوبيوجرافيا) أى ترجمة المؤلف لنفسه، وإن كان قد سبق ابن خلدون فى هذا الفن من التاريخ كثير من مؤرخى العرب وأدبائهم، كياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان)، وابن الخطيب معاصر ابن خلدون وصديقه فى كتابه (الإحاطة فى أخبار غرناطة)، وابن حجر معاصر ابن خلدون فى كتابه (رفع الإصر عن قضاة مصر) ولكن هذه الترجمات كانت ترجمات موجزة، أما ابن خلدون فهو من أوائل الباحثين العرب الذين كتبوا تراجم عن أنفسهم رائعة مستفيضة [1].

ومما لاشك فيه إن عصر ابن خلدون كان في عمومه عصر تقلبات وفتن سياسية في انعدام الاستقرار السياسى الذي هو شرط من شروط إقامة المجتمع المتحضر،لذلك فان هذه الفتن والانقلابات السياسية التي كانت تتمثل في سقوط أمير وانتصار آخر وعلو شأن أسرة واندثار أخرى ظلت سبباً رئيساً فى قيادة العالم الإسلامي إلى مدارج الانحدار الحضاري والتخلص الفكري والثقافي نتيجة عدم الاطمئنان والأمن على المال والولد والسكن، لقد كان هذا العصر إذن عصر فوضى واضطرابات داخلية، وعصر تردٍ حضارى وعصر تغيرات اجتماعية وتاريخية وسياسية، حتى أن جاك بيرك يصفه بأنه: (من أسوأ العصور التي عرفتها حضارات البحر الأبيض المتوسط[٢].

ولاشك أن ابن خلدون كان يمثل العدسة الراصدة لكل مظاهر الحياة في هذا

---

[١] على عبد الواحد وافى: **ابن خلدون حياته وأثاره ومظاهره وعبقريته**، ص٢٣٨.

[٢] محمد الجابرى: **العصبية والدولة**، دار النشر المغربية، ط٤، ١٩٨٤م، ص٢١.

العصر، حيث انه شارك فيها بقوة وعرفها من داخلها، وكان احد المكتوين بنيرانها حين تلتهب عليه وعلى أصدقائه من الأمراء، وكان أيضا احد المتنعمين بملذاتها حين تروق له الأمور في صحبة من ينتصر من أصدقائه، ومن هنا كانت لتأليفه وآرائه في هذا العصر أهمية لا تلقها أي آراء أخرى، حتى أن غاستون بوتول يقول: لولا أثر ابن خلدون التاريخي لجهلنا اليوم ما كان عليه تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع عشر، ولولا ابن خلدون لاقتصر جميع من يودون جعل اتصال هنالك بين آخر الإمبراطورية الرومانية والعهد البيزنطي والأزمنة الحديثة على فرضيات، ولولا ابن خلدون لأعوزنا على الخصوص ما يجب وجوده من العناصر الضرورية لتكوين فكرة على شيء من الصحة حول ما كانت عليه الحياة في شمال أفريقيا في أثناء الدور الوحيد الذي وُكل أمرها فيه إلى ن فسها لا تكون غير ذات صلة نظرية بالأمم الأخرى[١].

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الفكرية فإننا سندع ابن خلدون يحدثنا عنها حين يقول عن العلوم في هذا العهد فاعلم أن تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدولة في وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر ذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستبحر عمرانها وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافعة وبحور زاخرة ورسخ فيها التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة، فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً كان فى دولة الموحدين[*] بمراكش مستفادا منها، ولم ترسخ الحضارة لبداوة الدولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمبدئها فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأقل [٢].

---

[١] غاستون بوتبول: **ابن خلدون**، ترجمة عادل زعيتر ، ص٩.

[*] دولة الموحدين: من أكبر الدول الإسلامية التي نشأت بالمغرب الأقصي ٥٤١-٦٦٨هـ.

[٢] على عبد الواحد وافى: **مقدمة ابن خلدون**، ج٣، مصر، دار النهضة، ص١٠٢٠.

لقد كان طابع العلوم فى عصر ابن خلدون فى العموم مركزاً على العلوم الشرعية وما يتعلق بها من علوم عقلية وفكرية متنوعة كانت تعرض بأساليب كلها لا تخرج عن التقليد و اجترار الماضي بحيث لم يكن هناك فرصة للإبداع العقلي نتيجة فساد الحياة السياسية وتدهور الأوضاع الاجتماعية[١].

[١] محمد الجابرى: **العصبية والدولة**، مرجع سابق، ص٢٠.

المبحث الثاني

بين التاريخ وفلسفة التاريخ

عند ابن خلدون

التاريخ في اللغة العربية مشتق من تأريخ، وتوريخ، وهو يعني الإعلام بالوقت، وقد يدل تاريخ الشئ على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ويلحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة .وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان، ومسائله أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة وفي الزمان

والتاريخ في الاصطلاح: هو وعاء الخبرة البشرية، أو هو العلم الخاص بالجهود البشرية في الماضي وتستهدف منها جهود المستقبل، فالتاريخ يتناول أمة من الأمم بالتنقيب في طوايا فكرها ومدى ارتباط ذلك الفكر بالدنيا والحياة، ثم اتصاله بمسيرة الإنسان في الأرض وجهوده المتصلة لرفع شأنه اقتصاديًا وعلميًا وفكريًا، ومدى ارتباط ماضي الأمم بحاضر ها، وحاضرها بمستقبلها.

وقال ابن خلدون في مقدمته) :إن التاريخ في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول ,والسوابق من القرون الأُول ,تنمو فيها الأقوال,وتضرب فيها الأمثال , وتطرف بها الأندية إذا قصها الاحتفال .....الخ[١] لقد نظر ابن خلدون إلى علل الحوادث وأسبابها ,وحاول اكتشاف السنن التي تنتظمها ,وأكد على بدايات الحوادث وقيام الدول وتعليل سقوطها.

ويرى ابن خلدون في مقدمته ان التاريخ فن فهو يقول في ما نصه :أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية.....الخ (وهو يعني بالفن العلم الإنساني وليس أدلَّ على ذلك من إشارته إلى العمران البشري وكيف حدث، وما هي

(١) ابن خلدون : المقدمة ص٣

ديناميات حدوثه.

ومما لاشك فيه أن : ابن خلدون مؤسس علم التاريخ، يستندون إلى أنه ذهب إلى أن التاريخ فرع نوعي من المعرفة، يهتم بكل مجالات الظواهر الاجتماعية للتاريخ الفعلي .ويكشف المؤثرات المختلفة التي تعمل فيه، وباستمرار الأسباب والنتائج، وبالمكونات الطبيعية والنفسية، ولم يكن التاريخ بالنسبة إليه مجرد تسجيل للحوادث، بل كان وصفًا للعلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية، يتسم بالدقة والواقعية.

ومن ثم وجدنا ابن خلدون يتجاوز النظرة إلى الأحداث في ظاهرها إلى باطن الوقائع والأحداث ليدرك حقائقها، ويكشف عن أسبابها والقوانين التي تحكمها، ومن ذلك قوله:وفى باطنه–أي التاريخ بمفهومه –نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق(١).

كما أنه أشار إلى أغلاط المؤرخين، الذين يسوقون الأخبار الواهية وخرافات العامة، ويتوغلون في العدد، ويتجاوزون حدود العوائد، ويطاوعون دسائس الأغراب، ولن تجد معشار ما يعدونه، وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب، وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد، ولا يطالبها في الخير بتوسط، ولا عدالة يرجعها إلى بحث وتفتيش.كما أن ابن خلدون كان أمينًا في كتابته، لأنه لا يورد من أخبار في التاريخ إلا ما يطلع عليه ويتحقق من صحته، وهو في نفس الوقت، لا يقبل بالأخبار المتناقلة، لأنها قابلة لمجافة الواقع، فيقول:وأنا أذكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي أماصريحًا أو مندمجًا في أخباره وتلويحًا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب، وأحوال أجياله وأممه، وذكر ممالكه ودوله، ودون ما سواه من الأقطار لعدم إطلاعي على أحوال

(١) ابن خلدون : المقدمة ص٤

المشرق وأممه، وأن الأخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه[١].

وفي دراسته للمجتمع يؤكد ابن خلدون أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش منعزلاً عن غيره، تتنازعه نزعات طبيعية، كنزعة إشباع رغباته، وميله للسلوك العدواني.

ويؤكد ابن خلدون هذا المقصد بقوله : "إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر عنه الحكماء بقولهم، الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران"[٢].

وتمر الحضارة أن العمران البشري بمراحل يحصرها ابن خلدون في ثلاث مراحل على النحو التالي :

- المرحلة الأولى : وتبدأ في أبسط صورها بـ (البداوة)، ويسعى فيها الإنسان إلى تأمين حاجاته الضرورية التي تحفظ حياته.

- المرحلة الثانية : وهي المرحلة الوسطى، وتعرف بـ (المدنية) وفي هذه المرحلة ترتقي حاجات الإنسان من الناحية الاقتصادية والفكرية والروحية.

- المرحلة الثالثة : وهي أرقى المراحل، وتتمثل في (الدولة) وينصهر فيها الأفراد، وتستهدف خير المجموع[٣].

وتهدف الدولة إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي لأفرادها، ونشر الأمن والاستقرار وتنظيم نزعات الأفراد الطبيعية وتحجيمها، وتمر الدولة بمراحل عمرية كما الأفراد، فهي تولد وتنمو وتكبر ثم تضعف وتزول، وتزدهر الدولة بالتنظيم الجيد، لكن الترف

---

[١] ابن خلدون : المقدمة ص١٦٢

[٢] ابن خلدون : المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.

[٣] الموسوعة الفلسفية : عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص١٥.

هو ما يؤدي إلى ضعفها وانهيارها[١].

وسنجد هذه الأفكار الخاصة بعمر الدولة، وميلها إلى الانهيار لاحقاً عند مكيافللي عندما نعرض أفكاره الخاصة بالدولة وأحوالها. ولا نعتقد أن ميكافللي قد أطلع على أفكار ابن خلدون هذه، أو تأثر بها، لكن مرجع ذلك على الأغلب إلى الأوضاع التي عاصرها وعاشها كل منهما، والتي تميزت بالانحلال والفساد الخلقي، وانتشار حياة البذخ، وهو ما انعكس سلباً على الدولة وقوتها.

وتعد نظرية ابن خلدون في (العصبية) من النظريات الجديدة التي ابتكرها لتعريف الدولة، والعصبية عند ابن خلدون هي : "نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر"[٢].

تعبر العصبية عن شعور الأفراد بالانتماء للجماعة التي يعيشون فيها، وهو شعور أودعه الله قلوب عباده، وهو الذي يدفعهم للتوحد والغيرة على الجماعة التي ينتمون إليها.

ويدفع الاهتمام الكبير الذي أبداه ابن خلدون بالعصبية (محمد عابد الجابري) إلى صياغة تعريف للدولة يقول فيه : "الدولة عند ابن خلدون هي الامتداد المكاني والزماني لحكم عصبية ما".فالامتداد المكاني : هو ما يتناول امتداد الدولة في المكان واتساع رقعتها.

أما الامتداد الزماني : فيقصد به استمرار الدولة وقوتها وبعدها عن الزوال[٣].

ويربط ابن خلدون بين العصبية وعمر الدولة، حيث تعتبر الدولة قوية بقوة

---

[١] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[٢] ابن خلدون : المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص٤٨٤.
[٣] محمد عابد الجابري : العصبية والدولة، مرجع سبق ذكره، ص٣٢٠، ٣٢١.

عصبيتها، وضعيفة بضعفها[١]. كذلك يربط بين الصعبية والسلطة، فالرياسة إنما تكون بغلبة العصبية الموروثة[٢].

إن اهتمام ابن خلدون بالعصبية، يجعلنا لا نغالي إذ قلنا، إن عصبية ابن خلدون في الدولة كالقلب بالنسبة للجسد، يقوي بقوته، ويضعف بضعفه.

وفي هذا الصدد، يذهب البعض إلى القول بأن عصبية ابن خلدون تعادل المصطلح الحديث (القومية)، حيث تعني الانتماء للأرض والأفراد[٣].

وفي ذات الصدد، يرى البعض أن العصبية عند ابن خلدون ما هي إلا ترجمة لمفهوم الولاء والانتماء، وهو أساس الرابطة في العصر الحديث في إطار الدولة القومية، إلا أن الولاء في عصبية ابن خلدون مبني على أساس قبلي محلي، أما في الدولة القومية الحديثة فأساسه قومي يتجاوز الانتماءات الأولية التي ركز عليها ابن خلدون[٤].

يقول جوستاف لوبون: ويغدو التاريخ أمرًا مستحيلًا إذا ما وجبت دراسة تعاقب العلل البعيدة التي تُعيِّن كلَّ حادثة؛ ولذلك يجب أن يُسلَّم بدراسة العلل مباشرةً، ثم ببحثٍ موجَزٍ في العوامل العامة التي كانت ذا أثرٍ في تكوينها زمنًا طويلًا، أجل، تتألف حوادث التاريخ من الوقائع غير المنتظرة، كقيام أديان عظيمة قادرة على تغيير الحضارة، وخضوع أوربة لضابط بسيط صار إمبراطورًا .ولكنه يُشاهَد بجانب هذه الانقلابات العارضة تسلسلٌ على شيء من الانتظام في تطور الأمم وتتبُّع العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية، كالنظم السياسية والتملُّك والأسرة، إلخ، سيرًا وثيقًا كالذي تتحول به الخلية الدنيا إلى بَلُّوطة خضراء، فحال الأمة الحاضر يُعَيَّن بتعاقُب أحوالها

(١) عبد المعطي عساف : مقدمة إلى علم السياسة، (عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٨٧)، ص٥٣.
(٢) حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.
(٣) أحمد جمال ظاهر : دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص١٠٦.
(٤) حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مرجع سبق ذكره، ص٣٧٦.

السابقة، ويخرج الحاضر من الماضي كما يخرُج الزهر من البَذر[١].

فلسفة التاريخ:

تتمثل أهمية فلسفة التاريخ في التفكير الفلسفي عموما من حيث انها تؤكد على أهمية التاريخ في حياة الشعوب والأمم، وبالتالي على قيمة الوعي التاريخي، الذي يعبر عن وعي الذات لكينونتها وصيرورتها في التاريخ وصناعتها له .الحق الذي لا جدال فيه ان ابن خلدون هو أهم رواد فلسفة التاريخ التي قصد بها الربط بين الأحداث التاريخية وتعليلها.

وقد أختلف فيما إذا كان ابن خلدون أو فولتير هو الذي ابتدع استخدام لفظ فلسفة تاريخ، لكن نجد أن ابن خلدون هو صاحب الفكرة كمعنى، وقد قصد بها البعد عن السرد، ومحاولة التعليل للأحداث التاريخية وتمييز الظاهر والباطن حيث نجده يقول) :ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الدول ..إلى أن يصل إلى قوله :وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق.(يقول بأن الأخبار إذا أعتمد فيها على مجرد النقل، ولم يقاس الغائب منها بالشاهد فربما لم يؤمن العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، ويوصي بالحذر من الوقوع في الكذب وقد صرح بأن معظم الأخطاء أتت نتيجة النقل دون تدقيق.

وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وقصد إلى تعديل التاريخ من التاريخ العسكري والسياسي إلى فلسفة الحضارة، أي التوسع من دراسة أخبار الوقائع إلى دراسة الحضارات[٢].

---

[١] جوستاف لوبون : فلسفة التاريخ ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للنشر ، القاهرة٢٠٢٠ ، ص١٥

[٢] حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ص19

إن ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ فعلا، وإن لم يشر إلى ذلك صراحة، فقد اتسمت كتابات ابن خلدون بالواقعية والاستقرائية وهي سمات التاريخ، كما أنه ابتعد عن الفلسفة بمفهومها التقليدي القائم على الجدل، ولم تخضع آراؤه لمذهب فلسفي معين، ورغم ذلك لا تخلو آراء ابن خلدون من الفكر الفلسفي، إذا أخذنا في الاعتبار أن نظريات فلسفة التاريخ التي نقترب من التاريخ كثيرًا ما تكون الآراء الفلسفية بعدية وليست مسبقة وفقًا للمنهج الاستقرائي، كما أن البعض الذين يعتبرون أن

ومن الأسباب التي تدفعنا إلى اعتبار كتابات ابن خلدون تندرج في فلسفة التاريخ لا علم التاريخ

أ) **<u>ديناميكية الحياة</u>**

اعتبر ابن خلدون المجتمع كائنًا تاريخيًا يتطور وفق قوانين خاصة به، وهي قوانين يمكن ملاحظتها وتحديدها، وذلك عن طريق دراسة الظواهر الاجتماعية.[1]إذًا فالحياة الاجتماعية متطورة لا تقف، ودوام الحال من المحال، وإن كل يوم يحمل شيئًا جديدًا؛ لأن المجتمع ليس جامدًا بل متحركًا، أي ديناميكيا.

يقول ابن خلدون في ذلك: إن أحوال العالم والأمم، وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الأوقاف والأقطار والأزمنة والدول، سنة الله التي خلت في عباده. ويضيف ابن خلدون موضحًا: وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسريانيين والتبابعة وينو إسرائيل والقبط، وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولتهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم، وسائر مشاركتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعتمادهم للعالم تشهدها آثارها، ومن ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت الأحوال،

[1] زينب الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ،ص74

وانقلبتا العوائد إلى ما يجانسها أو يشابها وإلى ما يباينها أو يباعدها، ثم لا يزال الترويج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة[١].

ب) الديالكتيكية:

بالرغم من أن ابن خلدون لم يكن لديه تصور واضح عن الديالكتيكية كمنهج كما هو الحال عند هيجل – ليطبقه على مسار التاريخ، الديالكتيكية عند ابن خلدون تتمثل فيما قاله من أن عامل قيام الحضارة هو نفسه عامل تدهورها وفنائها، هذا العامل يتمثل في العصبية التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة، ولا تكون الرياسة إلا في أهل أقوى العصبيات، وإذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، وهذا يعني أن العصبيةتهدف إلى الملك وتنقل المجتمع من البداوة إلى التحضر.

وهكذا نجد ان ابن خلدون في كتاب العبر المعروف فقد انفرد بمنهج خاص يقوم على الديناميكية والدياليكتيكية وهو في منهجه يقرر بأن التاريخ له ظاهر وباطن، وأن ظاهره لا يتجاوز السرد أما باطنه فهو نظر وتحقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

مقولات فلسفة التاريخ:

تقوم فلسفة التاريخ علي مقولتين أساسيتين هما:

مقولة الكلية :وهي التكامل بين الأجزاء والترابط بين الوقائع، فالأحداث تبدو أمام المؤرخ لا رابط بينها، ولذا يتطلب الوحدة العضوية بين الأجزاء، لأن فلسفة التاريخ لا تقف عند عصر معين وإنما تضم كل العالم.

مقولة العّلية :وهي اختصار العلل الجزئية للأحداث إلي علة واحدة يفسر في ضوئها التاريخ العالمي، ومثال ذلك نظرية المادية التاريخية لماركس، الذي أرجع

(١) رأفت غنيمي الشيخ : في فلسفة التاريخ ، ص٤٩

الأحداث التاريخية إلى عامل واحد هو العامل الاقتصادي أو المادي، وقد شمل جميع العصور، ونتيجة لذلك ظهرت قضايا لفلسفة التاريخ[١].

لا جدال في إبداع ابن خلدون وابتكاره لهذا العلم، الذي عرِف في أوروبا في القرن الثامن عشر بفلسفة التاريخ، وفي القرن التاسع عشر باسم علم التاريخ أو المدخل إلى التاريخ، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك الاختراع أو الابتكار بأنه شيء جديد لم يسبق إليه، مصرحاً بأن له الفضل في ذلك، فهو يقول : "ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً، وأعثرنا على علم بين بِكْره وجهينةُ خبره، فإن كنت قد استوفيت مسائله، وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءَه، فتوفيق من الله وهداية . وإن فاتني شيء من إحصائه، وأشبهت بغيره مسائله، فللناظر المحقق إصلاحه، ولي الفضل لأني نهجت له السبيل، وأوضحت له الطريق، والله يهدي بنوره من يشاء[٢].

والحق الذي لا جدال فيه أن ابن خلدون لم يطلق عليه ف لسفة التاريخ، بل سماه : علم العمران، أو" : طبيعة العمران في الخليقة[٣]". وقد فصله في مقدمة تاريخه تفصيلاً قلّ نظيره، وإنْ كان بعض الباحثين قد حاول، قبل ابن خلدون، الكتابة في شيء من هذا، إلا أنهم لم يو فَّقوا في استجلاء ذلك كابن خلدون[٤]،

فابن خلدون أول من استخدم تعبير(فلسفة التاريخ)، حيث قصد به البعد عن السرد وتسجيل الأحداث دون ترابط بينها، كما قصد به التعليل للأحداث التاريخية . وميز بين الظاهر والباطن في التاريخ، قائلاً :إن التاريخ" في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول السوابق من القرون الأ ول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في

---

[١] أحمد محمد صحبي، في فلسفة التاريخ، ص58

[٢] ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** .اعتنى به :أبو صهيب الكرمي، ط ١، بيروت :بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٥، ص٢٥

[٣] المصدر السابق ، ص٢٣

[٤] روزنثال، فرانز . **علم التاريخ عند المسلمين** ، ترجمة : صالح أحمد العلي، بغداد : مكتبة المثنى، ونيويورك : مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٣ م، ص ١٦٥

الحكمة، عريق، وجدير بأن يعد في علومها[١].

فلسفة التاريخ عند ابن خلدون نظرية جديدة مستقلة، لكنها قدتلتقي مع بعض الفلسفات الحديثة : كفلسفة هيجل ، وماركس . لكنها تنهج نهجامتميزاً، بوصفها عطاءً فكرياً نظرياً في مرآة فلسفة تاريخية ذات استيحاء واقعي ، يمكن تسمية فكرها التاريخي بالتاريخ المنظور

ومما لاشك فيه ان فلسفة التاريخ عند ابن خلدون تقوم على علم العمران، وهو علم بناءالمجتمعات، وهو يجعل من التاريخ نظاماً فلسفياً يقوم على الحياة الاجتماعية . ومادة هذاالنظام هي المجتمع وثقافته الفكرية، كيف يعمل الناس ويحصلون أقواتهم، وكيف يجتمعون في جماعات كبيرة في ظل بعض الزعماء، وكيف تتقدم الحضارة من البدايةالخشنة إلى الترف الناعم، وكذلك بناء الدول وتطور ونمو هذه الدول، ثم تفككها وتصدعها وانتكاسه ويرجِع ابن خلدون سبب تفككها إلى العوامل الداخلية فيها، مع إغفال دور العوامل الخارجية المحيطة بالظرف الذي تفككت فيه تلك الدول، وتتمثل العوامل الداخلية : في البذخ والترف الذي يؤدي إلى الضعف والانحلال والانتكاس، ثم التفكك والزوال. ويشرح ابن خلدون مراحل سير تلك الدول، بانتقالها من الوجود البدوي إلى العمران الحضري الذي يخِلُّ باستقرارها وحظوظها في التقدم، كما يعد هبات الترف والبذخ بمثابة الريح المسمومة التي تكون علامات سلبية تدل على انتكاس الدول والمجتمعات المترفة, ولذلك فإن فلسفة التاريخ عنده تقوم على ربط علم العمران بالسنن الكونية،[٢].

ومما لاشك فيه ان مصطلح «فلسفة التاريخ» يشير الى منظورين أساسيين:

١) دراسة مناهج البحث: وهي تعني الطرق التي يكُتب بها التاريخ، وكيفية التحقق من صحة الوقائع التاريخية، والكشف عن مدى صدق الوقائع ومناقشة

(١) ابن خلدون : المقدمة ، مصدر سابق ص١٥
(٢) ابن خلدون .**العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مرجع سابق، ص٠ ٢

فكرة الموضوعية في التاريخ.

٢) النشاط التركيبي : وفيه يقدم المؤرخ او الفيلسوف وجهة نظره عن مسار التاريخ ككل[١].

خصائص فلسفة التاريخ

وفلسفة التاريخ لا تعوض قصور التاريخ فقط .. بل إنها تعوض قصور الفلسفة أيضاً .. إذ تعاني الفلسفة من قلق دائم مصدره اشتياق الفيلسوف إلي الوصول إلي الحقيقة فهو دائب البحث عنها ولكنه يخشي أن يضل السبيل في عالم المجردات .. لذلك فإن فيلسوف التاريخ يتلمس مادته من وقائع التاريخ فالتاريخ يشد الفلسفة حتي لا تحلق بعيداً في غير عالمنا . وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتي لا يغوص في وحل الماضي وركامه .

يلتمس التاريخ من الفلسفة الحكمة والمغزي وتلتمس الفلسفة في التاريخ الواقعية كلاهما يكمل في الآخر قصوراً ومن ثم كان الزواج بينهما قائماً برغم معارضة البعض من الفلاسفة والمؤرخين .

ومن اهم خصائص فلسفة التاريخ[٢].

٠١ الكلية: تبدو حوادث التاريخ أمام نظر الفيلسوف أشتاتا لا رابط بينهما وأكواما فوق بعضها البعض، فالفيلسوف يرفض أن يكون التاريخ فوضى من المصادفات العمياء وكوارث تتلاحق بعضها البعض، تتخللها ومضات قصيرة من السعادة كما أنه يرفض أن يكون مسار التاريخ على حد تعبير ماكس قبير "كشارع

(١) هيجل : محاضرات في فلسفة التاريخ : ج ١، العقل في التاريخ: ترجمة : د. إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير، ط٢، ٢٠٠٥، ص٣١،

(٢) احمد صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ،ص١٢٩

مهده الشيطان بحطام من قيم «حيث يطلب الفيلسوف الوحدة العضوية بين الأجزاء والهدف هو أن تكون نقطة البدء في فلسفة التاريخ تكامل بين الأجزاء وترابط الوقائع ففلسفة التاريخ لا تقف عند عصر معين ولا تكتفي بمجتمع خاص ولكنها تضم العالم كله في اطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها الفيلسوف نظريته بل قد لا يقتنع بذلك إنما يمتد تفسيره للمستقبل وبذلك يشعر فيلسوف التاريخ أنه قد أوجد الوحدة بين الأشتات و المعنى فيما يبدوا غير مفهوم وبذلك يتجاوز المؤرخ في فلسفة التاريخ الوقائع الجزئية إلى التاريخ العالمي أي التاريخ الانساني ككل .

٢ . العلية (النسبية): حيث يلجأ المؤرخ في التاريخ العادي إلى التعليل ولكنه يتقيد دائما بواقعة جزئية ملتزما بأسطر التاريخ من مكان وزمان أما الفيلسوف التاريخي فيختزل العلل الجزئية للحوادث الفردية إلى علة واحدة أو علتين على أكثر تقدير فيفسر في ضوئها التاريخ العالمي أي أنها تبحث العوامل الأساسية التي تحكم حركة التطور التاريخي

الخاتمة

أحمد الله تعالى فى الأولى والآخرة، وأصلى وأسلم على صفوة عباده، وخاتم رسله سيدنا محمد –ﷺ– وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه خاتمة لأهم النتائج التى توصلت إليها بعد إنتهاء بحثي:.

١. أن واضع لفظ فلسفة التاريخ كمصطلح هو فولتير الذي قصد به دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أما صاحب الفكرة كمعنى فهو ابن خلدون الذي قصد به البعد عن السرد.وقد قامت فلسفة التاريخ على مقولتين أساسيتين هما الكلية والعلية، كما تقوم على قضايا هي النسبية والعلية والتقدم والتخلف في مجرى التاريخ، والتنبؤ بما سيكون عليه التاريخ.وهكذا يعد ابن خلدون مؤسس وفلسفة التاريخ،

٢. لا جدال في إبداع ابن خلدون وابتكاره لهذا العلم، الذي عرِف في أوروبا في القرن الثامن عشر بفلسفة التاريخ، وفي القرن التاسع عشر باسم علم التاريخ أو المدخل إلى التاريخ، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك الاختراع أو الابتكار بأنه شيء جديد لم يسبق إليه، مصرحاً بأن له الفضل في ذلك، فهو يقول : "ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً، وأعثرنا على علم بين بِكْره وجهينةُ خبره، فإن كنت قد استوفيت مسائله، وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءَه، فتوفيق من الله وهداية . وإن فاتني شيء من إحصائه، وأشبهت بغيره مسائله، فللناظر المحقق إصلاحه، ولي الفضل لأني نهجت له السبيل، وأوضحت له الطريق، والله يهدي بنوره من يشاء

٣. يعد ابن خلدون– بحق –مؤسس علم التاريخ العربي الإسلامي ، وأول

من رسم الخطوط العامة لأول فلسفة تاريخية عرفها الفكر الإنساني؛ إذ كانت مستمدة من أصول عربية إسلامية خالصة . وخلص ابن خلدون إلى أن الخطاب التاريخي العربي التقليدي خاطئ في الأساس ؛ بسبب الجهل بقوانين العمران، مم ا جعل مناهج المؤرخين التقليديين تفتقر لأهم معيار نقدي في قياس صحة الأخبار . ومن هنا فإن ما داخل الأخبار والروايات التاريخية من أوهام وخلط وحشو ومبالغات عند المؤرخين السابقين لابن خلدون، كان لعدم وجود رؤ ية منهجية في تمحيصها وضبطها وقبولها وردها، إلى أن جاء ابن خلدون فوضع قواعد هذه المنهجية الجديدة يعد ابن خلدون من العلامات البارزة في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، حيث يعتبر من أشهر من قام بتحليل المجتمع بواقعية أخرجته عن النمط الذي كان سائداً في القرون الوسطى وما قبلها.

٤. من أهم ما يتميز به منهج ابن خلدون من خصائص هو السعة والشمول في مفهوم فلسفة التاريخ من حيث الامتداد الزماني والمكاني، وذلك من خلال محاولته دراسة التاريخ من أوسع أبعاده الزمانية والمكانية –البعد الزماني والبعد الجغرافي– الأمر الذي أعطاه صفة المؤرخ ذي النزعة الشمولية الواسعة في تدوينه التاريخي، وكذلك في علم الاجتماع السكاني لتوجهاته الحضارية وربطها بحركة التاريخ فعمد إلى ربط نشاط البعد السكاني (الاجتماع السكاني) وتأثيره وتأثره بحركة التاريخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية

٥. إن نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ كانت عند ابن خلدون، حيث ميز بين الظاهر والباطن والسطح والجوهر فرأى أن ظاهر التاريخ لا يزيد عن الأيام والدول والسوابق عن القرون الأولى أما الباطن فهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها أي أنه علم بكيفيات الوقائع وأسبابها

٦. هنالك إجماع من الباحثين المهتمين بفكر ابن خلدون على أن التجربة السياسية والاجتماعية التى عاشها كانت مصدراً أساسياً من مصادر فكره

السياسى والاجتماعى.

٧. كان للعلوم التي تلقاها و الدراسات التي اتصل بها ابن خلدون ، والأساتذة الذين تتلمذ عليهم والمجالس العلمية التي شارك فيها والحلقات الدراسية التى درس فيها أثر كبير فى صبغ فكره بالطابع الموسوعي الذي نجد فيه مختلف العلوم والمعارف كما يعلم ذلك الأثر

وأخيرًا فأحمد الله الذي أعانني على إتمام هذا البحث ، وهو جهد المقل. خيره كله من الله تعالى . وشره من نفسي والشيطان ، وأستغفر الله أولا وأخيرًا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الباحث

المصادر والمراجع

١- ابن خلدون :مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. دار يعرب. دمشق. الطبعة الأولى. ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.

٢- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ملحق الجزء لأول , تعليق شكيب أرسلان , طبعة محمد الحبابي , ١٩٣٦ م.

٣- ابن خلدون , التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً , نشر وتعليق محمد بن تاويت الطنجي , لجنة التأليف والترجمة والنشر , القاهرة , ١٩٥١ م.

٤- ابن خلدون : لباب المحصل في أصول الدين , نشر وتعليق وتحقيق الأب لوسيانو روبيو , دار الطباعة المغربية , تطوان , ١٩٥٢ م.

٥- أحمد محمود صبحي ،في فلسفة التاريخ، ط دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية، ١٩٩٠

٦- أحمد عبد السلام: ابن خلدون والعدل ، تونس، ١٩٨٩.

٧- .زينب الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون القاهرة، ١٩٨٢

٨- رأفت غنيمي الشيخ ،في فلسفة التاريخ، ط ١،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، طبعة مصر، ١٩٩٦ م.

٩- روزنتال : فرانتز روزنتال , مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ترجمة أنيس فريحة , دار الثقافة , بيروت , الطبعة الثالثة , ١٩٨٠ م.

١٠- ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ط ٣، بيروت، ١٩٦٧

١١- طه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية , ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة المنارة، ٢٠٠٦.

١٢- عبد القادر البحراوى: الدولة بين الإسلام والغرب(دراسة مقارنة)، ط٢، الأسكندرية، ٢٠٠١.

١٣- عبد القادر جفلول : الإشكاليات التاريخية فى علم الاجتماع السياسى عند ابن خلدون ، دار الحداثة ، لبنان ، ١٩٨٩.

١٤- عبد الله شريط: الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون، ط٣؛ المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ١٩٨٤م.

١٥- عزيز العظمة، إبن خلدون وتاريخيته، ترجمة عبد الكريم ناصيف،ط١،دار الطليعة، بيروت،١٩٨١ . -

١٦- علي سعد الله، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، ط١ ،دار مجدلاوي، الاردن، ٢٠٠٣
١٧- .علي عبد الواحد وافي، عبقريات إبن خلدون، ط٢، دار عكاظ، العربية السعودية، ١٤٠٤/١٩٨٤.
١٨- غاستون بوتول: ابن خلدون- فلسفته الاجتماعية، ترجمة عادل زعتر، القاهرة،١٩٥٥
١٩- مصطفى الشكعة : الأسس الفلسفية فى فكر ابن خلدون ونظرياته ، الدار اللبنانية المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٣.

المصادر الأجنبية:

Gaston Bouthoul, Ibn Khaldoun, Sa Philosophie Sociale,Paris,1930

قائمة المعاجم والموسوعات

١- إبراهيم مدكور : المعجم الفلسفي ، القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٨٣ .
٢- ابن منظور: لسان العرب، اعتنى بتصحيحه؛ أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ج٤، ط٣، دار الإحياء للتراث الشعبي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٩٩٩.
٣- أحمد بن فارس الرازي : معجم مقاييس اللغة ، دار بيروت الجيل ، ط :1 ، 1991 م.
٤- أسعد مفرج وأخرون: موسوعة عالم السياسة (تعريف شامل بالسياسة فكراً وممارسة)، ج٢٣، ط١، القاموس السياسي (Nobilis)، بيروت، ٢٠٠٦.
٥- أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، الطبعة الثانية ، باريس - بيروت ، منشورات عويدات ، ٢٠٠١ .
٦- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج١، ط١، ذوبي الغربي- سليمان زاد، قم-إيران، ١٣٨٥.
٧- محمد على التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د.على دحروج، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
٨- محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٩٩٦.